أسس الاصلاح فى دار العلوم

للدكتور على العنانى

الأستاذ بدار العلوم

تمهيد

يرتكز النهوض والرقي فى الأمم على النهوض والرقى في المعارف والعلوم والعقلية المهذبة الناضجة ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بتكوين العلم الصالح والنهوض بالتعليم ؛ ولذلك كانت العناية بأمر المعلمين هى الأساس الأول الذى ترتكز عليه مقومات الحياة الراقية والاجتماع الصالح لدى كل أمة تريد الرقى وتعمل للنهوض .

وقد توفقت مصر من فجر نهضتها الحديثة إلى ذلك ، فأنشأت للمعلمين دار العلوم ومدرسة المعلمين ؛ وقد أدى هذان المعهدان رسالتهما على أكمل وجه وأسمى غاية بالنسبة إلى مقتضيات الأحوال ومطالب الزمن ، واستمرا على ذلك عهداً غير قصير ؛ ولقد حدث أخيراً أن تطورت العقليات وزادت مطالب الزمن وهذان المعهدان يتقدمان فى أداء مهمتهما ولكن بنسبة لا تساير تماماً كل ما تتطلبه الحاجة من النهوض بالمعلمين والتعليم والحياة العقلية فى البلاد ؛ وعلى الأخص فى استكمال ما لا يزال بعيداً عن لغتنا ، وفى الوقوف على كل جديد من عقليات الأمم الناهضة منتجة المدنية الحديثة الحاكمة الآن فى كل الشعوب ؛ وكان من أثر ذلك أن نهضت عقليتنا بما أوتينا من الاطلاع على معارف الأمم الراقية مع تخلف المعلمين المتخرجين في دار العلوم عند ما كانت عليه من قبل ، وتحويل مدرسة المعلمين إلى معهد ليس من الطبيعى أن يقوم بتكوين المعلمين ، وعدم إمكان تحويل كلية اللغة فى الأزهر أو كلية الآداب في الجامعة إلى الاختصاص بتخريج المعلمين مع أنهما تتزاحم فى هذا السبيل .

ولقد نشأ عن ذلك حالة شاذة ، وهي تزاحم كلية اللغة الأزهرية وكلية الآداب

ومعهد التربية على الاستئثار بدار العلوم باندماجها في إحدى هذه الجهات مما يخالف الوضع الطبيعى ولا يحقق الغرض من تكوين المعلم الصالح القادر على أداء رسالته طبقا لحاجة الوقت ووفقاً لطبيعة الزمن والتطور العقلى الحديث .

والعمل الطبيعى الضرورى الآن إزاء هذه الحالة هو الإسراع بالإصلاح العاجل فى تكوين المعلمين فى بيئة خاصة بالمعلمين ، تستكمل فيها تربية المعلم كل ما لا يتيسر لها طبعاً وهى محولة على أية جهة أخرى ليست محل اختصاص لذلك .

والمعهد الوحيد الذى له هذا الاختصاص إنما هو دار العلوم ، والحالة الحاضرة الآن — بالنسبة إلى ما وصلت إليه عقليتنا ودرجة الرقى فى التعليم عندنا وتخلف دار العلوم وهى المعهد الوحيد الصالح لتكوين المعلمين عن الاضطلاع الكامل بشئون تلك العقلية وعن القدرة الكاملة على مسايرة هذا الرقى الحديث فى التعليم — فيستدعى العلاج العاجل فى انتشال دار العلوم من تخلفها الحالى من أن تؤدي للتعليم واجبها فى إعداد المعلمين القادرين على حمل أعباء التعليم من كل الوجوه والسير به إلى الأمام فى رقيه المطرد وخدمة العلم المستمرة في طلب المزيد .

هذا العلاج الوحيد المطلوب يمكننا أن نعبر عنه باسم (إصلاح دار العلوم) وأن نذكره فيما يلى بهذا التعبير ؛ وأدنى سبيل لضمان النجاح فى هذا الإصلاح وتحقيق الغرض منه إنما هو تركيزه على أسسه الطبيعية المرتبطة بالسبب الباعث عليه والمحققة للغرض المطلوب منه ؛ وبما أن إدارة الدار قد كونت لجاناً من هيئة التدريس بها للنظر فى مسائل هذا الإصلاح وتمحيص نواحى الصواب فيها واختيار المفيد مما يتعلق بها فإنى قد راجعتها ووجدت أنها فى فروع لا تتصل بأصول توحد وجهات النظر بين أعضاء كل لجنة من جهة وبين قرارات اللجان من جهة أخرى مما تتشعب معه المناقشة ، ويصح أن تنبو بعض نتائجها أو كلها عن الصواب وأن يحدث اختلاف فى تقارير اللجان ؛ لذلك رأيت أن أدلى برأيى مجملا فى سبب الإصلاح بدار العلوم والغرض المقصود منه والأسس الضرورية التى يرتبط بها كل فروع هذا الإصلاح فى جميع نواحيه ، وأن أدون هذا الرأى لسهولة الاطلاع عليه .

سبب الاصلاح والغرض منه

اتضح لنا من الإجمال التمهيدى السابق أن تكوين المعلمين يجب أن يكون فى بيئة خاصة ؛ وقد كانت هذه البيئة منحصرة فى دار العلوم والمعلمين العليا ؛ والثانية قد تحورت إلى معهد للتربية ، ففقدت بذلك اختصاصها وبقيت دار العلوم وحدها متمتعة بهذا الاختصاص ؛ غير أن دار العلوم على ما بها من رقى فى الثقافة الدينية والأدبية اللغوية قد أصبحت الآن لا تؤدى رسالتها على الوجه الأكمل لحرمان أبنائها من تعلم لغة أجنبية حية تمنحهم المرجع الجامع للثقافة الحديثة المؤهلة إلى الوصول إلى كل ما يحتاجه التعليم وما يمكن المعلم الباحث من خدمة المعارف والعلوم . .

هذا ولا شك نقص كبير فى الدار وفى أبنائها يجب تلافيه وسبب أساسى للإصلاح فيها مع ما يتبعه من الأسباب الثانوية التى لا حاجة إلى ذكرها فى هذا الإجمال .

وإصلاح الدار لهذا السبب الأساسى وما يتبعه من أسباب ثانوية إنما يكون لغرض ضرورى هو تكوين المعلم الصالح بها تكوينا يكون به قادراً على الاضطلاع بمهمة التعليم بما يتناسب مع طبيعة الوقت ودرجة الرقى العلمى الحديث ، ويساعد على خدمة العلم ورفع مستوى العقلية المصرية إلى ما يجب أن تكون عليه الآن وفى المستقبل القريب والبعيد .

إذا نحن قد تبين لنا ذلك وأذعنا بوجه الصحة فيه فمن السهل علينا بعد ذلك أن نهتدي إلى أسس الاصلاح المزيل لأسباب النقص والممكن من الوصول إلى الغرض المطلوب دون تعثر فى الطريق وتشعب متنافر فى الأطراف والفروع ودون السير على غير هدى فى شعبة التجارب والرأى الخطير .

أسس الاصلاح

وأسس الاصلاح المنشود تنحصر فى ثلاث جهات عامة تدخل فى كل واحدة

منها طائفة من فروع هذا الاصلاح ، وهى الجهة الادارية ، والجهة الثقافية ، وجهة ختامية يترتب الاصلاح فيها على الاصلاح فى الجهتين السابقتين .

الجهة الادارية

وأساس الإصلاح فى الجهة الإدارية رفعها إلى الدرجة التى تجعلها فى صف الإدارة فى المعاهد العالية وكليات الجامعات . ويدخل فى هـذا الباب الفروع الآتية وهى :

(١) رفع دار العلوم إلى كلية (٢) إنشاء مجلس لها

(٣) تعيين رؤساء للأقسام العلمية

(٤) تنظيم هيئة التدريس بتقسيمها إلى أساتذة ، وأساتذة مساعدين ، ومحاضرين ، ومدرسين ؛ ووضع كل فريق منهم فى درجات من نوع درجات هيئات التدريس فى الكليات .

(٥) تعيين الجهة التى تتغذى منها الدار وما يشترط فى الطالب الذى يلتحق بها

(٦) الفصل فى مسألة السن من جهة تحديده أو إطلاقه

(٧) وضع خطط الدراسة لزمن الحصص وعددها فى اليوم وفى الأسبوع وتوزيعها على المواد

(٨) تحديد سنى الدراسة (٩) نظام الامتحانات وحالات الرسوب

(١٠) وضع اللائحة الداخلية لنظام العمل اليومى والمكافآت والعقوبات

الجهة الثقافية

والاصلاح فى هذه الجهة إنما يكون أساسه النهوض بها إلى الدرجة التى تمنح المعلم الإلمام العام بنواحى التفكير الإنسانى فى الدين والفلسفة والأدب والعلوم مع التخصص فيما هو أمس بحاجة المعلم ومصلحة التعليم . ويدخل فى هذه الناحية الأساسية الفروع الآتية :

(١) تقسيم مواد الدراسة إلى أربعة أقسام أصلية : وهى قسم الدين ، ويدخل فيه تاريخ الديانات والتوحيد والتفسير والحديث والأصول والفقه . وقسم الفلسفة

ويدخل فيه تاريخ الفلسفة العام والفلسفة العربية والمنطق والأخلاق . وقسم الأدب ، ويشتمل على علوم اللغة العربية واللغات السامية ولغة أوربية حية . وقسم العلوم ، ويدخل فيه تاريخ نشأة العلوم وتطورها والعلوم التي يتقرر تدريسها بهذا القسم

(٢) تقسيم المواد الدراسية إلى قسمين أحدهما يراعى فى تدريسه طريقة التحصيل والثانى يدرس بطريقة البحث والتحليل

(٣) تقسيم طريقة التدريس إلى قسمين : أولهما يرجع إلى نظام الدرس والعمل فى مواد التحصيل ، والثانى إلى طريقة المحاضرة فى مواد البحث والتحليل

الجهة الخامسة

ويرتكز الإصلاح فى هذه الجهة على تحديد قيمة الشهادة وما ينتظره حاملها بمؤهلاته العالية التى حصل عليها بعد إصلاح الدار فى الإدارة والتثقيف ، ويدخل فى ذلك ما يأتى :

(١) وضع شهادة دار العلوم فى مستوى شهادة الدراسة فى الكليات والاشتراك معها فى الاسم .

(٢) إعطاء الحق لحامل هذه الشهادة أن يتقدم ببحث علمى إلى نيل شهادة الدكتوراه

* * *

هذه هى أسس الإصلاح فى دار العلوم التى يجب النظر فيها قبل البحث فى نفس هذا الاصلاح ، حتى إذا ما استقر الأمر عليها كما أجملتها أو بعد تعديل فيها أو تغييرها بما هو أجدى منها ، تيسر لواضعى الاصلاح المنشود تنسيقه على وجه مؤتلف لا تنافر فيه ولا اضطراب . وأقوى البناء ما وضع على أساس ، وأوهنه ما يتساند على الأطراف .

على العنانى